# العاطفة في الخطاب النقدي عند عبد الرحمن شكري
## دراسة مصطلحية

**د. محمد الصديق معوش**
**جامعة الوادي**

**الملخص:**

يدرس في هذا المقال مصطلح "العاطفة" في خطاب عبد الرحمن شكري النقدي باعتباره أحد المجددين في الشعرية العربية الحديثة، وباعتبار هذا المصطلح ضمن منظومة مصطلحات تعكس التحولات التي حدثت على مستوى التصورات والممارسات في تلك الشعرية، فنتتبع إذن مفهوم العاطفة عنده وما يرتبط بها مفهوميا ولغويا كوظائفها ونعوتها وعيوبها ومقابلاتها ومعطوفاتها وكذا ضمائمها الوصفية والإضافية قصد الضبط الدلالي للمصطلح والوقوف على منظومته المفاهيمية ضمن المتن المدروس.

**الكلمات المفتاحية:** مصطلح . العاطفة . عبد الرحمن شكري.

**Abstract :**

In this article, we examine the term "passion" in Abdel Rahman Shoukry's critical discourse, as one of the innovators of modern Arabic poetry, and as a term within a system of terminology that reflects the transformations that occurred at the level of perceptions and practices in that poetry. Conceptually, linguistically, like its functions, its idioms, its defects, its interviews, its meanings, its descriptive and additional attachments, in order to define the semantic term and to identify its conceptual system within the studied text.

**Keywords:** The term – Passion – Abdul Rahman Shukri

**توطئة:** يعدّ عبد الرحمن شكري أحد رواد الشعرية العربية الحديثة وقد جمع بين الممارسة النصية والتنظير النقدي، هذا الأخير نجده في مقدمات دواوينه والمقالات التي كان ينشرها في الصحف، وقد تضمن الخطاب النقدي في تلكم المقدمات والمقالات جملة من المصطلحات النقدية التي تعكس رؤية شكري إلى الشعر والأسس التي يقوم عليها مفهومه استنادا إلى المرجعية الرومانسية الأوربية، وقد كان لها أثر كبير في جيله والأجيال اللاحقة، ومن أهمّ المصطلحات التي تداولها شكري وتعد أساسا في فهم الشعرية الحديثة مصطلح "العاطفة"، وسندرسها في هذا المقال دراسة مصطلحية تهدف إلى بناء منظومة مفاهيمية للعاطفة ترتكز على تعريفها من خلال وصف مفهومها وذكر وظائفها وصفاتها وخصائصها، ثم علاقاتها بالمرادفات والمقابلات والمعطوفات، ثم ما يضمّ إليها من أوصاف وإضافات، وكل ذلك من خلال السياقات الاستعمالية في خطاب شكري النقدي.

**أولا: تعريف "العاطفة":**

أ . **لغة:** يقول ابن فارس عن مادة (عطف): "العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدلّ على انثناء وعياج، يقال: عطفت الشّيء إذا أملته... والرجل يعطف الوسادة: يثنيها، عطفا، إذا ارتفق بها"[1]، فالعطف يحيل إلى دلالة: الميل والرفق، وقد سبقه الخليل إلى هذا المعنى، وأضاف إليه دلالة الانصراف وهو ميل مضادّ، قال الخليل: "عطفتُ الشَّيءَ أملته، وانعطف الشيء، انعاج... وعطفت عليه: انصرفت... وتعطّف على ذي رحم، في الصلة والبرّ.... والعطّاف: الرجل العطيف على غيره بفضله، الحسن الخلق البارّ اللّين الجانب"[2]، ويضيف الزبيدي إلى هذه المعاني: الرقّة والحبّ والحنو، يقول: "تعطف على رحمه: رقّ لها...والعاطفة: الرحم"[3]،"العطوف: المحبّة لزوجها والحانية على ولدها"[4]، ويبدو أنها معاني مجازية متوسعة من الميل الذي هو الدلالة النووية لهذه المادة المعجمية.

**ب . اصطلاحا:**

**1 . في الاصطلاح الفلسفي السيكولوجي:** يرى جميل صليبا أنّ العاطفة لفظ مشترك موضوع لمعان عدّة وأنّ أفضل تعريف له هو قوله: "استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة ففيها إذن: انفعال وتصور وفعل، كالعواطف الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية، فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض مصحوب بفعل محدد أو غير محدد"[5]

ولا يبتعد مراد وهبة كثيرا عن هذا المفهوم إذ يقول: "الكلمة العربية تفيد معنى الحالة الشعورية وما يصحبها من نشاط موجه متواصل، أي تفيد معنى الميل والاتجاه وتتابع حلقات الفعل"[6]

وعليه فكلا التعريفين يحددان العاطفة على أنها: انفعال نفسي يتضمن ميلا خاصا مصحوبا بتصور معين يدفع نحو سلوك ما.

**2 . في اصطلاح عبد الرحمن شكري:** إذا نحن تأملنا نصوص شكري النقدية فلا نجد فيها تعريفا صريحا مباشرا للعاطفة رغم طول كلامه عنها، وهذا من الممكن أن يشير إلى أنّه يراها واضحة لا تحتاج إلى تعريف، وإنما الأمر الغائب عن الفهم الشعري هو دورها في عملية الإبداع الشعري ووظيفتها وأهميتها بل وضرورتها للشعر بجميع أغراضه، لذلك كان تركيزه على تلك الجوانب، ومع ذلك سنحاول استخلاصها من بعض الإشارات في نصوصه:

. <u>العاطفة انفعال قوي</u>: يقول: " لا ينظم الشاعر الكبير إلّا في نوبات انفعال عصبيّ، في أثنائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه، وتتضارب العواطف في قلبه ...أما في غير هذه النوبات، فالشعر الذي يصنعه يأتي فاتر العاطفة، قليل الطلاوة والتأثير، وإدمان الاطلاع أساس في الشعر لأنه هو الذي يهيئ الطبع أما انتقاء الأساليب عند النّظم، فدليل على أن الشاعر غير متهيئ الطبع ناضبه، ليس في أعصابه نغمة، ولا في قلبه عاطفة"[7]، ويبدو شكري متأثرا بمذهب كولردج الذي يقول: "إنّ الشعر كما

يؤكّد وردزروث بحقّ ينطوي دائما على الانفعال ويجب أن نفهم هذه اللفظة ـ انفعال ـ بأكثر مدلولاتها اتساعا أي بمعنى حالة اضطراب في الأحاسيس والملكات ولمّا كان لكلّ انفعال نبضه الخاص، فإنّ له أيضا طرق التعبير التي تميّزه"[8].

. العاطفة شعور واع وعميق بعيد عن الرقة السطحية: يقول: "ولا أعني بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدلّ على التوجع وذرف الدموع، فإنّ شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب وذكاء وخيال واسع"[9]

. العواطف أنواع أساسها الحبّ وباقيها فروع عنه: يقول: "والحبّ أعلق العواطف بالنفس ومنه تنشأ عواطف كثيرة مثل البغض أو الودّ أو الرجاء أو اليأس أو الحسد أو الندم أو الشجاعة أو حب العلاء، أو الجود أو البخل، ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة في الشعر من حيث هو جماع العواطف ومظهر دروسها، فالغزل يعبّر عن جميع العواطف النفسية"[10]

**ثانيا: وظيفة العاطفة:** نجد في نصوص شكري التي يستعمل فيها مصطلح العاطفة أنه ينوطها بمجموعة من الوظائف هي كالأتي:

**1 . تمكن من الإحساس الشديد بالجمال:** وربما هنا يخصص هذه الوظيفة بعاطفة الحب التي هي دافع شعر الغزل حيث نجده يقول: "ليس من شروطه (الغزل) تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس، وقصرها عليه، وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها، فإنّ الغزل الذي نعنيه بسبب العاطفة التي تجعل المرء يحس الجمال إحساسا شديدا في جميع مظاهره"[11]

**2 . تجعل المعاني والأساليب والصور شعرا:** بمعنى أن المعاني والصور في النص الشعري غير كافية لتجعل منه شعريا وإنما العاطفة هي التي تجعله كذلك، يقول عن أبيات لقيس بن الملوّح:"لكنّه شعر صادق دافق من القلب يدلّ على أنّ قائله شاعر بطبعه وخياله ووجدانه ويدلّ على عاطفة صادقة تأخذ المألوف من مظاهر الكون والخليقة... كي تعبر بها عن ذكريات القلب وأمانيه وهذه الوسائل التي تستخدمها والتشبيهات هي ألوان مادّة الشاعر فليس كلّ شعر يحتويها بشعر كما أنّ ليست كلّ صورة ذات ألوان بصورة، وإنّما العاطفة هي التي تجعلها شعرا"[12]

**3 . تحريك الحياة:** العاطفة عند شكري تخلق الدافع والحافز في مختلف مسالك الحياة، كما أنها سبب في قوة الشعر وحرارته وجماله، لذا يقول: "والعواطف هي القوّة المحرّكة في الحياة، وهي للشعر بمكانة النّور والنّار"[13]

**4 . التأثير على الذوق:** وذلك أن صحتها وصدقها يخلقان ذوقا صحيحا سليما، والعكس إن كانت العاطفة سقيمة يكون الذوق تبعا لها في سقمها، يقول: "فالعواطف أكثر الأشياء سلطانا على الأذواق، فإذا كانت العواطف سقيمة كانت الأذواق كذلك، ولا شيء يفسد العواطف مثل مزاولة المرذول"[14]

**5 . خلق الجمالية:** الجمال الذي تخلقه العاطفة الشعرية لا حدود له بل يشمل حتى الجوانب السيئة في الحياة، "وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كلّ شيء حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة، فتحبوها جمالا فنيا"[15]

**6 . إنطاق الشاعر:** فالعاطفة إذا هاجت وجاشت فإنها" تنطق الشاعر، كذلك قد تخرسه شدّتها"[16]

ويبدو من خلال ما سبق أنّ وظيفة العاطفة تتركز في خلق الجمالية سواء في الحياة أو في الشعر أو في الذوق وكلها مرتبطة ببعضها البعض.

**ثالثا: ضرورتها وأهميتها:**

**1 . تتطلبها كلّ أغراض الشعر:** ينطلق شكري من أنّ شعر العواطف يتميّز عن غيره من أصناف الشعر وستكون له الكلمة الأولى في المستقبل، كما يؤكد أنّ"الشعر مهما اختلفت أبوابه لا بدّ أن يكون ذا عاطفة وإنّما تختلف العواطف التي يعرفها الشاعر"[17]، والشعر الذي يقوم على العاطفة ليس شعرا جديدا كما توهم بعض الناس وإنما هو شامل لكل أغراض الشعر، يقول: "وليس شعر العاطفة بابا جديدا من أبواب الشعر، كما ظنّ بعض الناس، فإنه يشمل كلّ أبواب الشعر"[18]

**2 . أساس رفعة مقام الشعر:** بما أن العاطفة هي التي تدفع إلى قول الشعر فإن وجودها يؤدي إلى علو مقامه، في حين أن التكلف الذي يعني غياب العاطفة القوية لا يجعل الشعر عالي المقام، يقول في ذلك: "الشّعر الرفيع المقام لا يكون إلّا إذا وجدت العاطفة، وأمّا الصنعة وحدها لا تخلق شعرا عاليا"[19]

**3 . من العناصر الأساسية للشعر:** عندما حدد شكري مفهومه للشعر بين أنه يقوم على عناصر من بينها العاطفة، يقول: " فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال و الفكر إيضاحا لكلمات النفس و تفسيرا لها. فالشعر هو كلمات العواطف و الخيال و الذوق السليم"[20]

**4 . أساس جلالة الشعر:** لا يكون الشعر جليلا إلا إذا عبر عن العواطف بدقة وتفصيل، يقول: "وأجلّ المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم"[21].

**5 . مصدر حياة الشعر وقوته وجلاله:** العاطفة القوية هي التي تنفخ الروح في الشعر وتلبسه ثوب القوة والجلال، لذلك فإنه "من كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتا لا حياة له، فإنّ حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف، وقوته مستخرجة من قوتها، وجلاله من جلاله"[22]

ويبدو من خلال ما سبق أن العاطفة ضرورية للشعر فهي أحد عناصره الأساسية التي يقوم عليها، كما أنها تمثل مصدر القوة والجمال له.

**رابعا: صفات العاطفة:**

**أ . النعوت (المحاسن):**

**1 . السعة:** العاطفة الواسعة هي عاطفة الحبّ التي تستوعب كل جمال الوجود، يقول شكري: "وليست محبّة الفرد للفرد إلا مظهرا من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كلّ جمال يستجلى في الحياة"[23]

**2 . الصدق:** ربما كان نعت العاطفة بالصدق هو من أكثر النعوت تواترا لها، فقد ربط قيمة الشعر الوجداني بصدق العاطفة، يقول:" ولكن قيمة الشعر الوجداني ليست بالتحرّق والتلدّد فحسب، ولا بالفخامة ولا بدقّة المنطق ولا بعكسه، وقد يكون الشّعر الوجداني عكس المنطق إذا كان العكس يعبّر عن صدق العاطفة"[24]

وفي موضع آخر نجده يحكم على عاطفة الجاهليين والإسلاميين بأنها أصدق مما كان عند من أتى بعدهم من الشعراء وعلل ذلك بكبر النفوس وقوة العاطفة، يقول: "إذا نظرت إلى الشعر العربي وجدت أنّ شعراء الجاهليّة وصدر الإسلام كانوا أصدق عاطفة ممّن أتى بعده والسّبب في ذلك أنّ النّفوس كانت كبيرة والعواطف قويّة، لم يتلفها بعد التّرف والضّعف... وشعر الأمّة مرآة حياتها فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة كان شعرها شديد التأثير صادق العاطفة، وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة كان شعرها ألفاظا مرصوفة ميّتة، ليس فيها عاطفة"[25]

ومما سبق يتبين أن صدق العاطفة يعني صدورها من نفس كبيرة لتكون قوية شديدة التأثير.

**3 . العظمة:** يقول عن خطورة المبالغة على الشّاعر العبقريّ: " وخطوة واحدة قد تسقطه إلى حضيض الشّعر حيث مغالاة الشّعور الفاتر الذي يدّعي صاحبه عظم العاطفة وصدق الوجدان"[26]ومن هنا يتبين أن العاطفة العظيمة هي نقيض الشعور الفاتر الذي يؤدي إلى المبالغة.

**4 . القوة:** القوة أيضا من نعوت العاطفة عندما تكون صادقة شديدة التأثير، وقد وصف بها عاطفة الشعراء الجاهليين والإسلاميين، يقول: "إذا نظرت إلى الشعر العربي وجدت أنّ شعراء الجاهليّة وصدر الإسلام كانوا أصدق عاطفة ممّن أتى بعده والسّبب في ذلك أنّ النّفوس كانت كبيرة والعواطف قويّة... "[27]

**5 . الاندفاع والتدفق:** ذكر شكري هاتين الصفتين في معرض انتقاده لشعر الصنعة الذي انتشر في العصر العباسي، فهو يفتقد هذا الاندفاع والتدفق في العاطفة، يقول: " وقد أصبحت قصائد الصنعة التي ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعريّة نماذج تحتذى في المدارس وفي غير المدارس لتقويم لسان النّاشئين المبتدئن، ولكنّ الخطر قديما وحديثا هو إمّا أن يملّ النّاشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإمّا يضلّ طول عمره على النّماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحا أو معنى أو وجدانا"[28]

ويقول أيضا: " فإنّ الصنعة كانت قد انتشرت في عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد في التشبيه ومغالاة في المعنى من غير سيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس و من آلاعيب لفظية ومعنوية"[29]

6 . **الوضوح:** ورد هذا النعت عند شكري في معرض حديثه عن أحوال العاطفة وارتباطها بأغراض الشعر، يقول: " فبعض شعر الشّاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم وفي بعضه تكون أقلّ وضوحا، ولا ريب في ذلك إذ أنّ الغزل مثلا يستلزم نوعا خاصّا من العاطفة غير العاطفة التي تبعث على خواطر الحكمة والوعظ"[30]

7 . **الهيجان:** الهيجان هو ثورة العاطفة وقوة تدفق وهو أمر حسب رأي شكري يجب على الشاعر أن يحرص على أسبابه ودوافعه في نفسه بوعي لأنه مصدر قوة الشعر: "فينبغي للشّاعر أن يتعرّض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشّعريّة. وأن يعيش عيشة شعريّة موسيقيّة بقدر استطاعته"[31]

8 . **الجلالة والشرف والفضل:** عندما تحدث شكري عما ينبغي للشاعر فعله من التعرض لما يهيج عواطفه وكذا بحثه في عواطف قلبه ومعرفتها جيّدا علل ذلك بأن قلب الشاعر هو المرآة العاكسة لصورة الكون ففيه يرى كلّ أنواع العواطف من جليلها وشريفها وفاضلها إلى قبيحها ومرذولها ووضيعها، فالعاطفة إذن قد تتصف بالجلالة والشرف والفضل، يقول: "فينبغي للشّاعر أن يتعرّض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشّعريّة. وأن يعيش عيشة شعريّة موسيقيّة بقدر استطاعته. وينبغي له أن يعوّد نفسه على البحث في كلّ عاطفة من عواطف قلبه، وكلّ دافع من دوافع نفسه. لأنّ قلب الشّاعر مرآة الكون فيه يبصر كلّ عاطفة جليلة، شريفة، فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة."[32]

ب . **العيوب:** وردت في خطاب شكري النقدي مجموعة من العيوب قد تتسم بها العاطفة وهي كالآتي:

1 . **الخبوّ:** وهو نقيض الهيجان والاشتعال مما يعني ضعف العاطفة وخمودها، وهذا العيب يرى شكري أنه يرد على ألسنة من لا يفهمون حقيقة الشعر فهم يعيبون به عاطفة الشاعر الذي يترفع عن شعر المناسبات، يقول: "فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية، قالوا: ما له؟ هل نضب ذهنه أم خبت عاطفته أم دجا خياله؟"[33]

2 . **السقم:** السقم يعني فساد العاطفة بسبب التعامل المستمر مع الرذائل، كما أنّ العاطفة السقيمة تؤثر سلبا على الذوق فيصاب بالسقم هو الآخر، لذلك يقول شكري: "فالعواطف أكثر الأشياء سلطانا على الأذواق، فإذا كانت العواطف سقيمة كانت الأذواق كذلك، ولا شيء يفسد

العواطف مثل مزاولة المرذول فإنّ المرء لا يزال حتى يراه لأسباب الفضل جامعا، ولأصناف الحسن شاملا، وحتى لا يرى الفضل إلّا فيه"[34]

**3 . القبح والرذالة والضعة:** هذا العيب وصف به شكري العاطفة في معرض ذكره لأنواع العاطفة التي تنعكس على قلب الشاعر الذي هو مرآة الكون حسب رأيه، يقول وهو يتحدث عما ينبغي للشاعر فعله: "ينبغي له أن يعوّد نفسه على البحث في كلّ عاطفة من عواطف قلبه، وكلّ دافع من دوافع نفسه. لأنّ قلب الشّاعر مرآة الكون فيه يبصر كلّ عاطفة جليلة، شريفة، فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة."[35]

**4 . الفتور:** الفتور يعني الضعف والبرود بسبب غياب التجربة الشعورية للشاعر، كما أنه ينجم عن هذا الفتور افتقاد الشعر لروعته وتأثيره على المتلقي، يقول: " لا ينظم الشاعر الكبير إلّا في نوبات انفعال عصبيّ، في أثنائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه، وتتضارب العواطف في قلبه... ثمّ تتدفق الأساليب الشعريّة كالسيل، من غير تعمّد منه لبعضها دون بعضها، أما في غير هذه النوبات، فالشعر الذي يصنعه يأتي فاتر العاطفة، قليل الطلاوة والتأثير..."[36]

**5 . الغموض والغثاثة:** وهما عيبان قد يكون في العاطفة والمعنى وربط شكري بين هذا العيب وعيب آخر هو ضعة الكلمة، فالكلمات عنده ليست وضيعة في حد ذاتها، وإنما الضعة والشرف في الاستعمال، ومن هنا فالكلمة وضيعة إن هي استعملت من أجل تغطية وتمويه غموض وغثاثة المعنى والعاطفة،وهذا معنى قوله:"فضعة الكلمة إذا هي غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضا، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة وأخفت ضعف الشاعر وعجزه"[37]

**خامسا: علاقات العاطفة:**

**أ . المقابلات:** جعل شكري لمصطلح "العاطفة" ألفاظا مقابلة منها: الصنعة والعقل والتفكير، وهذا التقابل لا يعني بالضرورة التضادّ وإنما هو اختلاف في طبيعة المفاهيم، وها هي ذي المقابلات في سياقات ورودها مع العاطفة:

**1 . الصنعة:** الصنعة تعني التكلف في الشعر من تعمد الإغراب والغموض، بعكس العاطفة التي تعني الطبعية في قول الشعر والعفوية والصدق، يقول: " فإنّ الصنعة كانت قد انتشرت في عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد في التشبيه ومغالاة في المعنى من غير سيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس و من آلاعيب لفظية ومعنوية"[38]

ولذلك يرى شكري أنّ الصنعة عندما تكون جيّدة فإنها تقترب من مستوى العاطفة، وهذا يؤكد اختلاف كل من العاطفة والصنعة من جهة كما يؤكد أفضلية العاطفة على الصنعة، يقول: "وقد بلغت جودة الصنعة في شعر البحتري مبلغا جعلها تحاكي العاطفة والوجدان"[39]

2 . **العقل والتفكير:** العاطفة تعني التدفق التلقائي والطبع في حين يعني العقل والتفكير التأمل والوعي، وبالرغم من هذا التمايز إلا أن شكري يرى بضرورة وجودهما معا في الشعر، يقول رادا على من يميزون بينهما في الشعر: "بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل وهي مغالطة غريبة، إذ أنّ كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة والتفكير"[40]

ب . **المعطوفات:**عطف شكري مجموعة من المصطلحات على مصطلح "العاطفة" وذلك في سياقات متعددة نتبينها فيما يلي:

1 . **العواطف والمعاني الشعرية:** وقد حدث هذا العطف في سياق بيان ما ينبغي للشاعر أن يهيجه في نفسه، يقول: "فينبغي للشّاعر أن يتعرّض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشّعريّة. وأن يعيش عيشة شعريّة موسيقيّة بقدر استطاعته"[41]، فالعاطفة والمعنى الشعري يشتركان في التهيج في نفس الشاعر.

2 . **المعنى والعاطفة:** وهنا أيضا المعنى والعاطفة قد يعتريهما الغموض والغثاثة، والكلمة لا تكون وضيعة إلا إذا حاولت تغطية وتمويه هذه العيوب فيهما، يقول: "فضعة الكلمة إذا هي غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضا، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة وأخفت ضعف الشاعر وعجزه"[42]

3 . **العاطفة والوجدان:** إن العاطفة والوجدان يجتمعان لدى شكري في معرض الثناء عليهما لأنهما ركيزتا الشعر الجيد، ومن خلال السياق يبدوان وكأنهما شيء واحد، يقول شكري: "فإنّ الصنعة كانت قد انتشرت في عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد في التشبيه ومغالاة في المعنى من غير سيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس و من آلاعيب لفظية ومعنوية"[43]، ويقول أيضا: "وقد بلغت جودة الصنعة في شعر البحتري مبلغا جعلها تحاكي العاطفة والوجدان"[44]

4 . **العاطفة والتفكير:** السبب في عطف التفكير على العاطفة في هذا السياق هو بيان ضرورتهما لكل موضوعات الشعر مع مراعاة ما يناسب كل موضوع، يقول: "بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل وهي مغالطة غريبة، إذ أنّ كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة والتفكير"[45]

5 . **العاطفة والخيال:** العاطفة والخيال عنصران أساسيان من عناصر الشعر، لذلك عندما أراد شكري أن يحدد مفهوم الشعر أقامه على أصول ثلاثة هي العاطفة والخيال والذوق، يقول: "فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذّوق السّليم فأصوله ثلاثة متزاوجة..."[46]

**سادسا: ضمائم العاطفة**

أ . **الضمائم الوصفية:** استعمل شكري مجموعة من الكلمات الواصفة لمصطلح "العاطفة" منها ما يبين محاسنها ومنها ما يبين نوعها ومنها ما يبين بعض خصائصها وهي كالآتي:

1 . **العاطفة القوية:** ونلاحظ في استعمالها عند شكري أنّ ألفاظا مثل الضخامة والملتهب وتؤججه تصاحب مصطلح العاطفة القوية لأن هذه القوة هي السبب في ذلك: "الضخامة صفة في الأسلوب الملتهب الذي يشبه الصخور الذائبة التي تسيل من فم البركان، ذلك الأسلوب الذي تؤججه العواطف القوية"[47]

2 . **العاطفة الصادقة:** استعمل شكري هذا المصطلح لتقريض أبيات لقيس بن الملوّح، كما بين أن العاطفة الصادقة هي التي تخلق الشعرية في النص، يقول: "لكنّه شعر صادق دافق من القلب يدلّ على أنّ قائله شاعر بطبعه وخياله ووجدانه ويدلّ على عاطفة صادقة تأخذ المألوف من مظاهر الكون والخليقة... كي تعبر بها عن ذكريات القلب وأمانيه وهذه الوسائل التي تستخدمها والتشبيهات هي ألوان مادّة الشاعر فليس كلّ شعر يحتويها بشعر كما أنّ ليست كلّ صورة ذات ألوان بصورة، وإنّما العاطفة هي التي تجعلها شعرا"[48]

3 . **العاطفة الجليلة الشريفة الفاضلة:** هذا المصطلح يشير عند شكري إلى صنف من العاطفة يراه الشاعر في قلبه انعكاسا لصورة الكون فيه، يقول: "قلب الشّاعر مرآة الكون فيه يبصر كلّ عاطفة جليلة، شريفة، فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة."[49]

4 . **العاطفة الشعرية:** العاطفة الشعرية عند شكري هي شرط في شعرية النص حتى لو كان شعرا تأمليا فهو بوجودها لا يختلف عن مستوى شعر العواطف، يقول: " فشعر التأمّل في الحياة والنّفس هو خلاصة النّفس وهو لا يختلف عن الشعر الذي يقال عن أحاسيس النّفس في موضوعه ما دمت تحسّ فيه العاطفة الشّعريّة"[50]

والعاطفة الشعرية تتميز بالتدفق والاندفاع مما يخلق رونق الشعر الذي يخلو منه شعر الصنعة والتكلف، لذلك نرى شكري يقول بهذا الصدد: "وقد أصبحت قصائد الصنعة التي ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعريّة نماذج تحتذى في المدارس وفي غير المدارس لتقويم لسان النّاشئين المبتدئن، ولكنّ الخطر قديما وحديثا هو إمّا أن يملّ النّاشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإمّا يضلّ طول عمره على النّماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحا أو معنى أو وجدانا"[51]

5 . **العاطفة النفسية:** هذا المصطلح يستعمله شكري مرادفا لمصطلح "العاطفة الشعرية" وهي مرتبطة بخواطر النفس وأحاسيسها وبالحياة عموما، يقول عن ضرورتها للشعر: " فشعر التأمّل في الحياة والنّفس هو خلاصة النّفس وهو لا يختلف عن الشعر الذي يقال عن أحاسيس النّفس في

موضوعه ما دمت تحسّ فيه العاطفة الشّعريّة، ولا يجوز الحطّ منه إلّا إذا خلا من كلّ أثر للعاطفة النّفسيّة فليس شعر التأمّل في المرتبة الثّانية"[52]

ويذكر هذا المصطلح أيضا ضمن الكلام عن أهمية مراعاة الوحدة الفنية في فهم القصيدة: "وهذه الحادثة تشرح السّبب في سوء الفهم الذي يعتور بعض النّاس في قراءة القصائد التي تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النّفسيّة التي لها علاقة بالحياة والخلق، فإنّه لا يحاول تفهّم مغزى القصيدة الذي لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنيّة وما تقضيه المقابلة الفنيّة من اختلاف جوانب الرأي فيها واختلاف حالات النّفس التي ضمّنتها القصيدة."[53]

**6 . عاطفة واحدة/ عواطف متغايرة:** استعمل شكري هذين المصطلحين لبيان أن الشاعر ليس ملزما بالتعبير عن نوع واحد من العواطف، بل يعبّر عن أنواع مختلفة من العواطف، يقول: " والشاعر لا يعبّر عن عاطفة واحدة أو نفس واحدة بل يعبّر عن عواطف متغايرة، ونفوس متباينة فلا رأي لمن يريد أن يقيّده بمذهب من مذاهب الفلسفة يذود عنه ويتعصّب له، فإنّ الشاعر يرى جانب الصواب من كلّ مذهب ويعبّر عن كلّ نفس"[54]

**7 . العواطف المختلفة:** يمكن أن يكون هذا المصطلح تابعا للسياق السابق، وهو يعبّر عن تداخل وتزاوج أنواع متعددة من العواطف في التجربة الشعرية الواحدة، ويرى شكري أنه لا يمكن الفصل بين هذه العواطف المختلفة، يقول: " فالنّفس إذا فاضت بالشّعر أخرجت ما تكنّه من العواطف المختلفة في القصيدة الواحدة، فإنّ منزلة أقسام الشّعر في النّفس كمنزلة المعاني من العقل فليس لكلّ معنى منها حجرة من العقل مفردة بل تتزاوج وتتوالد فيه، فلا رأي لمن يريد أن يجعل كلّ عاطفة من عواطف النّفس في قفص وحدها..."[55]

من خلال استعمال الضمائم الوصفية لمصطلح "العاطفة" نصل إلى مجموعة من المصطلحات الفرعية كالعاطفة الشعرية والعاطفة الصادقة... وهي تعبر عن أنواع العاطفة أو خصائصها أو محاسنها...

**ب . الضمائم الإضافية:** نتحدث هنا عما يضاف إلى مصطلح "العاطفة" من كلمات، وكذلك ما تضاف إليه العاطفة، وعما يعبر ذلك كله:

**1 . عواطف القلب:** أضيف لفظ "القلب" إلى مصطلح العاطفة باعتباره مصدرها وهو ما ينبغي للشاعر أن يبحث فيه دائما، يقول شكري: "وينبغي له أن يعوّد نفسه على البحث في كلّ عاطفة من عواطف قلبه، وكلّ دافع من دوافع نفسه. لأنّ قلب الشّاعر مرآة الكون فيه يبصر كلّ عاطفة جليلة، شريفة، فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة."[56]

2 . **عواطف النفس:** لفظ "النفس" من أكثر الألفاظ إضافة إلى مصطلح "العاطفة" لأنها أعلق بها وهي ترجمة لأحاسيسها وخواطرها فهي لصيقة بها لذلك ينسب شكري كل العواطف إلى النفس فيقول: " فالنّفس إذا فاضت بالشّعر أخرجت ما تكنّه من العواطف المختلفة في القصيدة الواحدة، فإنّ منزلة أقسام الشّعر في النّفس كمنزلة المعاني من العقل فليس لكلّ معنى منها حجرة من العقل مفردة بل تتزاوج وتتوالد فيه، فلا رأي لمن يريد أن يجعل كلّ عاطفة من عواطف النّفس في قفص وحدها..."[57]

واستعمال هذه الإضافة أيضا في الكلام عن وظيفة الغزل الذي يعتبره معبرا عن جميع عواطف النفس وينقل شعورها إلى المتلقي، يقول: "هذا الشعر الذي لا بأس به إذا أريد للفكاهة والعبث، لا للغزل الذي يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها"[58]

واستعملها أيضا في بيان قيمة التشبيه المتمثلة في إثارة عواطف النفس، يقول: "وقيمة التشبيهات في إثارة الذكرى أو الأمل أو عاطفة أخرى من عواطف النفس أو إظهار حقيقة"[59]

وكذلك عند الكلام عن وظيفة الخيال فمنها شرح عواطف النفس، يقول: "فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها"[60]

ومن خلال الكلام عن مفهوم الشعر وبيان تأثيره في نفس المتلقي جعل ذلك مرتبطا بالإحساس بعواطف النفس، يقول: " والشعر ما أشعرك وجعلك تحسّ عواطف النّفس إحساسا شديدا"[61]

من خلال ما سبق يتبين أن النفس أضيفت إلى مصطلح "العاطفة" وهو بصيغة الجمع مما يدلّ على تنوعه وتعدده، وأن العاطفة مرتبطة بالنفس الإنسانية، وتدل السياقات المستعملة فيها على أنها الموضوع المركزي للشعر لذلك ترتبط بها وظيفة الخيال والتشبيه في الشعر.

3 . **عواطف الإنسان:** ذكر شكري هذا المصطلح في معرض بيانه لضرورة العاطفة للشعر حتى يكون شعرا فقال: "فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقرونا بعواطف الإنسان وخواطره وذكره وأمانيه وصلات النفس"[62]

4 . **شعر العواطف/ شعر العاطفة:** رغم أنّ شكري يقول بضرورة العاطفة لكل أغراض الشعر إلا أنه يميز صنفا من الشعر يسميه "شعر العواطف" ويرى أنه هو الشعر الحقيقي لذلك يقول: "ولشعر العواطف رنّة ونغمة لا نجدها في غيره من أصناف الشّعر، وسيأتي يوم من الأيام يفيق النّاس فيه إلى أنّه هو الشعر لا شعر غيره، فالشعر مهما اختلفت أبوابه لا بدّ أن يكون ذا عاطفة وإنّما تختلف العواطف التي يعرفها الشاعر"[63]

كما استعمل أيضا هذا المصطلح في بيان ما يتوجبه: " فإنّ شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب وذكاء، وخيال واسع، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها، ودرس اختلافها وتشابهها،

وائتلافها وتناكرها، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها، وكلّ ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال النّاس"[64]

ثم يجعل شكري مصطلح "شعر العاطفة" في مقابل مصطلح "شعر الصنعة" للتمييز بينهما فالأول شعر مطبوع وإنساني لأن مصدره النفس الإنسانية وهي واحدة مهما اختلفت البيئات واللغات، أما الثاني فهو مختلف تتحكم فيه البيئة والثقافة السائدة، يقول: "وقد كان من رأينا دائما أنّ شعر العاطفة والوجدان يتقارب في جميع اللغات، وإنما الذي يتباعد في اللغات شعر الصنعة والمحاكاة لأنّ هذا أساسه العرف والاصطلاح والذوق الإقليميّ، أمّا شعر العاطفة والوجدان فهو واحد في كلّ إقليم، وإنّك لو نقلت الشعر الذي استشهدنا به من شعر قيس بن الملوّح أو قيس بن ذريح إلى اللغات الأوربية لطرب له القرّاء كما يطرب قراء العربية إذا نقل إليها شعر العاطفة والوجدان من اللغات الأوربية نقلا صحيحا لا سخيفا"[65]

وفي السياق الآتي يرفض شكري التقسيم القائل بوجود شعر عاطفة وشعر عقل، لأن العاطفة والعقل يتطلبهما الشعر ولكن تتفاوت نسبتهما بحسب غرض الشعر، يقول: "بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل وهي مغالطة غريبة، إذ أنّ كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة والتفكير"[66]

5 . **ذكرى العاطفة:** عبر شكري بهذه الصيغة عن أحد دوافع قول الشعر وهو تذكر واستعادة العاطفة في التجربة الشعرية، ويعترف بأنه دافع تقليدي دعت إليه الشعرية الحديثة في بداية مشوارها، لأنها يتوافق مع قيمها الداعية إلى أنّ الشعر يجب أن يكون مطبوعا وتدفقا تلقائيا لا تكلفا وصنعة، يقول: "لا يدهش أحد إذا عددنا ما يسمّى نزعة التجديد نزعة رجعيّة في أولها، فقد أوضحت أنّها في مبادئها كانت رجوعا إلى مبادئ الشّعر العربيّ القديم من قلّة تكلّف الصنعة، ومن نظم الشّعر بالعاطفة أو ذكرى العاطفة بدل نظمه تعمّدا بالصّنعة، ومن البحث في خواطر النّفس وشجونها وأشجانها والتعبير عنها بدل تنميق المعاني المتفق عليها"[67]

6 . **أنغام العواطف:** هذه الإضافة تعبر عن مدى تأثير العاطفة في المواضيع العادية لجعلها مواضيع شعرية، يقول: "فإنّ شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب وذكاء، وخيال واسع، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها، ودرس اختلافها وتشابهها، وائتلافها وتناكرها، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها، وكلّ ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال النّاس"[68]

7 . **كلمات العواطف:** استعمل شكري هذا المصطلح في تعريفه للشعر على أنه الكلام المعبر عن العواطف والخيال والذوق السليم، يقول: "فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم."[69]

**8 . عبارات العواطف:** تقريبا يشبه هذا السياق ما قبله فالتعبير عن العواطف هو أحد المعاني الشعرية، يقول: "فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وآراؤه وتجاربه وأحوال نفسه وعبارات عواطفه"[70]

**9 . شرح عاطفة:** إضافة العاطفة إلى لفظ "شرح" في هذا السياق جاء لبيان وظيفة التشبيه الحقيقية والمتمثلة في تصوير العاطفة وشرحها للمتلقي، يقول شكري: "والتشبيه لا يراد لذاته ...وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة"[71]

وبعد دراسة مصطلح العاطفة في الخطاب النقدي لعبد الرحمن شكري يمكن أن نقف على النتائج الآتية:

. لم يضع عبد الرحمن شكري تعريفا صريحا لمفهوم العاطفة ولكنه ركز على أهميتها ووظائفها ومحاسنها وعيوبها...

. تصور عبد الرحمن شكري للعاطفة ودورها في الشعر متأثر بالرومانسية الأوربية...

. من خلال هذه الدراسة المصطلحية للعاطفة يمكن أن تتشكل لدينا منظومة مفاهمية للعاطفة تتمثل في: العاطفة /أنواعها/ وظائفها/ أهميته/ محاسنها/ عيوبها/ ضمائمها الوصفية/ ضمائمها الإضافية...

. هذه التشكيلة المصطلحية المفاهيمية يمكن أن تكون لبنة في المعجم النقدي العربي الحديث ومنه إلى المعجم النقدي العربي التاريخي ومنه إلى معجم اللغة العربية التاريخي.

. المصطلح النقدي العربي الحديث شاهد قويّ على فعل المثاقفة بين العرب والأمم الأخرى، وعلى التحول الحاصل على مستوى المرجعيات والممارسات في الأدب والنقد العربيين.

. يبدو التراث النقدي الحديث ثريا بالمصطلحات ومازال الكثير منها بحاجة إلى دراسة وقراءة فاحصة ناقدة لضبط دلالاته وأنساقه وإثراء المعجم المصطلحي العربي.

الهوامش

[1] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج4، ص: 351

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (مرتبا على حروف المعم)، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ج3، ص: 182

[3] مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ت: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام الكويتية، ط2، 1987، ج24، ص: 170

[4] نفسه، ص: 171

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ج2، ص: 44

[6] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007، ص: 406

[7] عبد الرحمن شكري، ديوان عبد الرحمن شكري، جمع وتحقيق: يوسف نقولا، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1998، مقدمة ج 3 ص: 244

[8] محمد مصطفى بدوي، كولردج، دار المعارف، ط2، 1988، ص: 178 و179

[9] شكري، مقدمة ج3، ص: 243

[10] شكري، مقدمة ج4، ص: 326

[11] نفسه، والصفحة نفسها.

[12] شكري، دراسات في الشعر العربي، ج ت: محمد رجب البيوميّ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994، ص:148

[13] شكري، مقدمة ج 3 ، ص:244

[14] شكري، الثمرات/المؤلفات النثرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة، مج1، ط1، 1998 ص: 24

[15] شكري، مقدمة ج4، ص: 327

[16] نفسه، ص: 324

[17] شكري، مقدمة ج3، ص: 243

[18] شكري، مقدمة ج4، ص: 325

[19] شكري ، دراسات في الشعر العربيّ، ص: 89

[20] شكري، مقدمة ج 4 ، ص: 324

[21] شكري، مقدمة ج5، ص: 402

[22] شكري، مقدمة ج4، ص: 324

[23] نفسه، ص: 327

[24] شكري، دراسات في الشّعر العربيّ، ص: 48

[25] شكري، مقدمة ج 3، ص:244

[26] شكري، دراسات في الشعر العربيّ، ص:157

[27] شكري، مقدمة ج 3 ، ص:244

[28] شكري، دراسات في الشّعر العربيّ، ص: 57

[29] نفسه، ص: 41

[30] شكري، مقدمة ج 5 ، ص:405

[31] شكري، مقدمة ج 3 ، ص:243

[32] شكري، مقدمة ج 3 ، ص:243

[33] شكري، مقدمة ج4، ص: 325

[34] شكري، الثمرات، ص: 24

[35] شكري ، مقدمة ج 3، ص:243

[36] نفسه، ص: 244

[37] شكري، مقدمة ج5، ص: 408

[38] شكري، دراسات في الشّعر العربيّ، ص: 41

[39] نفسه، ص: 112
[40] شكري، مقدمة ج5، ص: 405
[41] شكري، مقدمة ج3، ص: 243
[42] شكري، مقدمة ج5، ص: 408
[43] شكري، دراسات في الشّعر العربيّ، ص: 41
[44] نفسه ص: 112
[45] شكري، مقدمة ج5، ص: 405
[46] شكري، مقدمة ج 4 ، ص: 324
[47] شكري، مقدمة ج5، ص: 406
[48] شكري، دراسات في الشعر العربيّ، ص:148
[49] شكري، مقدمة ج3، ص: 243
[50] شكري، دراسات في الشعر العربيّ، ص:298
[51] نفسه، ص: 57
[52] نقسه، ص:298
[53] شكري، مقدمة ج 7 ، ص: 549
[54] شكري، مقدمة ج 4 ، ص: 326
[55] نفسه، ص: 325
[56] شكري، مقدمة ج3، ص: 243
[57] شكري، مقدمة ج4، ص: 325
[58] شكري، مقدمة ج5، ص: 400
[59] نفسه، ص: 401
[60] نفسه، ص: 402
[61] نفسه، ص:402 و403
[62] نفسه ، ص: 402
[63] شكري، مقدمة ج3، ص: 243
[64] نفسه، ص: 243
[65] شكري ، دراسات في الشعر العربيّ، ص: 151
[66] شكري، مقدمة ج5، ص: 405
[67] شكري، دراسات في الشّعر العربيّ، ص: 293
[68] شكري، مقدمة ج3، ص: 243
[69] شكري، مقدمة ج 4 ، ص: 324
[70] شكري، مقدمة ج5، ص: 402
[71] نفسه، ص: 402